ملامح الأدب المقارن ومظاهره عند الجاحظ

"دراسة وصفية تحليلية من خلال البيان والتبيين "

The Features of comparative literature and its Aspects according to AL-Jaakhiz "A Descriptive Analysis in the Al-bayaan wa-Al-tabyeen"

Dr. Muhammad Faisal
Assistant Professor, Department of Linguistics (Arabic) UOH
Email: iiuifaisal@gmail.com. m.faisal@uoh.edu.pk
Dr. Nazir Ahmad
Assistant professor department of Translation & Interpretation
Faculty of Arabic, International Islamic University Islamabad
Email: nazirahmed@iiu.edu.pk
Dr. Muhammad Aslam
Assistant Professor (Visting) Faculty of Arabic
International Islamic University Islamabad
Email: muhammad.aslam@iiu.edu.pk

Abstract
The term "comparative literature" is one of the most important and basic term which is introduced by the global world in the field of modern literature. It is a wide area of study all over the world, especially in Arabic literature; it needs books to cover every single aspects of it. This review paper aims at providing a short review about the feature of comparative literature and its Aspects in *AL-BAYAAN WA-AL-TABYEEN* which is known as major source of classical Arabic criticism as well as it is an encyclopedia of Arabic Literature which discussed the deferent aspects and features of comparative literature in ancient era. The book specifies the concepts of rhetoric according to Persians, Greeks, Romans, Indians and especially it's includes the concepts of rhetoric in Arabic language. Moreover *AL-BAYAAN WA-AL-TABYEEN* is the book which discussed the many types of different literatures on the basis of comparative analysis by referring to the examples of poetry or speeches of the great scholars.
This research work will focus on "The Features of comparative literature and its Aspects in al bayaan wa-al-tabyeen" by pointing out its kinds discussed by *Jaahez* in the light of Arabic language. Moreover the paper will explore the types of illness like: Lisp and its kinds by analyzing the aspects of comparative linguistics likewise the specific accents of Persian, *Nubtian, kuphian, khurasaanian*, and sindhian.
Keywords: comparative literature, aspects, al-bayaanwa-al-tubyeen

الحمد لله الذي بيده تتم الصالحات أحمده سبحانه وأستهديه وأستعينه وأصلي وأسلم على صفوته من خلقه صلوات الله وسلامه عليه وأضرع إليه سبحانه وتعالى أن يرزقني محبته ومحبة نبيه وأن يجعل همي الصدق وبغيتي الحق وأن يولي وجهي جهة ابتغاء مرضاته إنه سبحانه رحيم ودود قريب مجيب.

وبعد:

فإن البيان والتبيين للجاحظ موسوعة من مادة موفورة لدراسة آداب الأقوام، وعادات أجيال، وتقاليد المجتمعات المختلفة، وخاصة المجتمع العربي الاسلامي في بغداد والبصرة على أيام الجاحظ كما أنه يشمل بعض خواطر معاصريه وسابقيه في الشعر العربي بالإضافة إلى ذلك قدم لنا معلومات ضافية عن البلغاء والخطباء والفقهاء والأمراء؛ لأنه يغترف بما حوله، ويلتزم الدقة في إيراده حتى الألفاظ العامية ويوارد ها كما هي، وشكا من أن الرسم العربي غير كاف لتصوير كل الآداب التي يريد كتابتها، فهو مصدر أساسي للأدباء والنقاد، حين يبحثون عن آداب أقوام العالم، وخصائص القبائل، وفروق الدلالات، والحروف الأكثر دورانا، والألفاظ أكثر توافقا،وتطور المصطلحات في مختلف مجالات العلوم.فكتاب الجاحظ هذا يشتمل على عدّة آرائه الأدبية والنقدية، واللغوية والبلاغية، مما يدلنا على سعة ثقافته، وغزارة علمه، وواسع اطلاعه، وسعة أفقه، ومن أهم القضايا المذكورة في البيان والتبيين فيما يلي:

وقف الجاحظ[1] كتابه البيان والتبيين على الأدب الراقي بألوانه المتعددة، ولم يقتصر بحثه على الأدب وحده، وإنما تعدّاه إلى المبدع نفسه، فدرسه تشريحا وثقافة وتاريخا، وقدم للقراء معلومات ضافية عن البلغاء وأخبارهم، والخطباء ومواقفهم، والفقهاء واجتهادهم، والأمراء وأوامرهم، والحمقى ونوادرهم . كما أنه بسط القول عن علماء المعتزلة فما منهم إلا وأورد عنه خبرا، أو ذكرله نادرة. بالإضافة إلى ذلك صنف الجاحظ الأدب بأصناف متعددة، وقسّمه إلى المنظوم والمنثور، ثم تنوع المنظوم عنده إلى عدة أنواع كما ينقسم المنثور فيه إلى أقسام مختلفة، منها: 1-الخطب، 2- الرسائل، 3-الوصايا، 4-المحاورات، 5- القصص، 6- تراجم الأدباء . كما لجأء إلى البلاغة ومفاهيمها، وأقسامها، وخلاصة ما قال في البلاغة هو "تصحيح الأقسام، واختيار الكلام، وحسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة عند الإطالة، وهي وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة، وكل من أفهمك حاجة من غير اعادة ولاحبسة ولا استعانة، فهو بليغ".

تحدّث الجاحظ في كتابه: "البيان والتبيين" عن عدّة قضايا نقدية، فهو مؤسس الحداثة في التراث العربي، إذ فصّل القول في قضية اللفظ والمعنى، ووازن بينهما، وأشار إلى وضعهما في أسلوب مناسب، فأسس للأسلوبية مبادئها الأساسية، وما يلازمها من حسن انتقاء اللغة، والسبك بين الألفاظ وانسحامها بالمعاني. وقد لجاء إلى تماسك أبنية القصائد والنصوص الأدبية، وأنه يرى للأسلوب شروطا يرقى بها، كما

كان عليما بأسرار الجمال في النصوص. ومن الشروط التي وضعها لسمو الأسلوب، هو صحة الطبع، وبعد المبدع عن التصنع والتكلف، فهو يدعوا إلى المواءمة، في البناء الشعري بين الألفاظ وما يؤديه من المعنى، فلايناسب المعنى الجزل إلا اللفظ الجزل، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف صنع في القالب صنع الغيث في التربة الكريمة. فهو كتاب يجد فيه القارئ: كيفية نشأة الفكر الأدبي، والنقدي الفكري عند العرب، ودراسة تحليلية للنصوص الأدبية، وتاريخها أو العصر الذي كتبت فيه، وتأثرها بالتاريخ والمجتع الذي أنشئت فيه. كما لجأ إلى بيئة المبدع، وتأثر به النصوص أو القصائد التي كتبها، فمن هنا تعدّ كتب الجاحظ موسوعات للمادة الأدبية، والبلاغية والنقدية، ففيها ملامح التاريخ، وأخبار السياسة الإسلامية، ومبادئ العلوم العربية وفنونها، ومناهج البحث الأدبي واللغوي القديمة والحديثة. وإذا كان هذا الكتاب مصدرا أساسيا من مصادر الأدب والنقد والبلاغة من ناحية، فقد كان موسوعة لغوية تشمل قضايا لغوية وخاصة صوتية من ناحية أخرى، فكان من الضروري أن يقوم أحد من الباحثين بتلخيص القضايا الصوتية وعِلَلِها التي اهتم بها هذا العالم العبقري العظيم ضمن المباحث الأدبية والنقدية؛ ليتعرّف الباحثون الناشؤون على ملامحه الصوتية وما يتعلقها من عيوب الكلام وأنواع اللحن وعلل الأصوات أسبابها ومظاهرها عند التحدّث باللغة العربية.

تبدأ المقارنة عنده في كتابه أثنا كلامه عن عدّة قضايا الأدبية والبلاغية فناقشها عند العرب وغير العرب من الفرس، والهنود، واليونان، والرومان، فهو أوّل من سلك منهج الأدب المقارن في كتابه حيث عرّف البلاغة عند أقوام العالم معظمها، وتحدّث عن خطباء العرب وغيرب العرب؛ ففي كتابه هذا قدّم لنا عدّة نماذج عن بلاغة العلماء والشعراء والخطباء، وبلاغة البلغاء العرب وغيرهم. فإذا كانت هناك ملامح الأدب المقارن فالهدف الأساسي من هذا البحث أن يقدّم نبذة مختصرة عن مجهودات الجاحظ في الأدب المقارن وما يليها من المبادئ الأساسية في الموازنة بين أدباء العرب ونقادها؛ فمن هنا ينقسم البحث إلى ثلاثة أقسام: القسم ألأول: مظاهر الأدب المقارن بين الأمم. القسم الثاني:المقارنة بين الأداب السامية. القسم الثالث: ملامح الموازنة بين قبائل العرب ونماذجها في البيان والتبيين. وفي النهاية يلخص البحث بما وصل إليه خلال الدراسة من النتائج والتوصيات والمقترحات.

القسم الأول: مظاهر الأدب المقارن عند الجاحظ في البيان والتبيين

الأدب المقارن هو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب كيف اتصل هذا الأدب بذاك الأدب، وكيف أثر كل واحد منهما في الآخر. ماذا أخذ هذا الأدب وماذا أعطى. وعلى هذا فالدراسة في الأدب المقارن تصف انتقالا من أدب إلى أدب. قد يكون هذا الانتقال في الألفاظ

اللغوية أو في الموضـــوعات أو في الصـــور التي يعرض فيها الأديب موضـــوعاته أو الأشـــكال الفنية التي يتخذها وسيلة للتعبير.[2] وعند ما ننظر إلى الوراء نجد أن فكرة "مقارنة الآداب والثقافات"بين الأمم المثقفة من الأقوام العالم ظهرت عند صـــاحب "البيان والتبيين" بعد ما طعنت الشـــعوبية على أخذ العرب في خطبها المخصرة والقناة والقضيب، والاتكاء والاعتماد على القوس، والخد في الأرض، والاشارة بالقضيب بكلام مســـتكره، فبدأ الجاحظ يجيب على ما طعنت الشـــعوبية، فذكر المنابر ولمَ اتخذتها العرب، وكيف كانت الخطباء من العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام، وهل كانت المنابر في أمّة قط غير أمتنا، وكيف كـانت الحال في ذلك. وقد أثبت الجاحظ أن الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع، وهي: العرب، والهند، وفارس، والروم. وأضـــاف "حكيم ابن عيّاش الكلبي" إلى هذه الأمم الحبشـــة، والحمير. ثم بدأ الجاحظ يتكلم عن منظوم العرب ومنثورهم للموازن والمفاضلة بين أدباء العرب وفصحائهم من قبائلهم المختلفة ثم يفضّـــل بعضـــهم على بعض بأدلة مقنعة. ثم يلجأ إلى المنظوم والمنثور من الآداب عند العرب والعجم، فيقارنها بين العرب والفرس أحيانا، وبين العرب والهنود مرة أخرى. كما يقارنها بين العرب واليونان أو الرومان؛ فيدرسـها دراسـة نقدية أو البلاغية من ناحية، كما يدرسـها دراسـة علمية أو اللغوية من ناحية، فيفضّل الأداب العربية وأجناسها على آداب غير العربية من الأدب الفارسي، واليوناني والروماني والهنود ببعض المعايير والأدلة التي قدّمها الجاحظ، وهي: 1- أن العرب أنطق الناس. 2- أن لغتها أوسع اللغات. 3- أن لفظها أدلّ الألفاظ لمقاصدها. 4-أن أقسام تأليف كلامها أكثر. 5-أن الأمثال التي ضُـربت فيها أجود وأيسـر. 6- أن البديهة مقصـور عليها. 7- أن الارتجال والاقتضـاب خاص فيها.

بالإضـافة إلى ذلك يشـمل البيان والتبيين ثلاثة أقسـام لمقارنة الآدب، وهي: 1**–** المقارنة بين الأمم المثقفـة من العرب وغيرهم من الفرس والهنود واليونان والرومـان. 2**–** المقـارنـة بين الأدباء العرب ومن جاورهم من الأمم. **3 –** الموازنة بين أدباء القبائل العربية. وفصّـــل عن الفرق بين أشـــعارهم وبين الكلام الذي تسـمّيه الروم والفرس شعرا. وكيف صـار النَسيبُ في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم إنما يقال على ألسـنة نسـائهم، وهذا لايصـاب في العرب إلا القليل اليسـير. وكيف صـارت العرب تقطّع الألحان الموزونة على الأشـــعار الموزونة، فتضـــع موزونا على موزون، والعجم تُمطط الألفاظ فتقبض وتبســـط حتى تدخل في وزن اللحن فتضـــع موزونا على غير موزون. وإليك التفصـــيل:قال أبو عثمان: " وقد طعنت الشـــعوبية على أخذ العرب في خطبها المخصـــرة والقناة والقضـــيب، والاتكاء والاعتماد على القوس، والخد في الأرض، والاشارة بالقضيب بكلام مستكره... ولابد من ذكر المنابر ولمَ اتخذت، وكيف كانت الخطباء من العرب في الجاهلية وفي صـدر الاسـلام، وهل كانت المنابر في أمّة قط

غير أمتنا، وكيف كانت الحال في ذلك. وقد ذكرنا أن الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع، وهي: العرب، والهند، وفارس، والروم. وقال حكيم ابن عيّاش الكلبي[3]:

لك يك ملك أرض الله طرا– لأربعة له متميزينا

لحمير والنجاشي وابن كسرى– وقيصرغير قول ممترينا

وقد انتقد الجاحظ هذه الأبيات بقوله: "فما أدري بأيّ سبب وضع الحبشة بهذا المكان. وأما ذكره لحمير فإن كان إنما ذهب إلى تتبّع نفسه في الملوك، فهذا له وجه. وأما النجاشي فليس هو عند الملوك في هذا المكان، ولو كان النجاشي في نفسه فوق تتبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبشةفي هذا الموضع. وهو لم يفضّل النجاشي لمكان إسلامه، يدلّ على ذلك تفصله– الشاعر– لكسرى وقيصر. وكان وضع كلامه على ذكر الممالك، ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك. والدليل على أن العرب أنطق، وأن لغتها أوسع، وأن لفظها أدلّ ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر، والأمثال التي ضُربت فيها أجود وأيسر، والدليل على أن البديهة مقصور عليها، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي تسمّيه الروم والفرس شعرا. وكيف صار النَسيبُ في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم، وهذا لايصاب في العرب إلا القليل اليسير. وكيف صارت العرب تقطّع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، فتضع موزونا على موزون، والعجم تُمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون".[4]

المعيار الأوّل:تحديد الأمم المثقفة وآدابها المقارنة

حدّد الكتاب الأقوام المتعددة من العرب والعجم من الأمم البائدة، ويعنى بها مثل: كنعان، ويونان وأشباه ذلك.[5] وفصّل الكلام عن الأمم، مثلا: "نسطوس"[6] و "برابرة" و "صقالية" و "جرامقة" و "جراجمة"[7] و "أقباط" و "أنباط" و "أخلاط" من الناس.[8] ثم ذكر أن الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع، وهي: العرب، والهند، وفارس، والروم. **و** قسّمها إلى أربعة أقسام بقوله: "قال أبو عثمان: وإذا سمعتموني أذكر العوّام فإني لست أعني الفلاحين والحشوة[9] والصناع والباعة، ولست أعني أيضا الأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار ولست أعني من الأمم مثل ببر والطيلسان[10] وموقان وجيلان[11] ومثل الزنج وأشباه الزنج. وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع: العرب،وفارس، والهند، والروم. والباقون همج وأشباه الهمج. وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا، ولغتنا، وأدبنا وأخلاقنا، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا. على أن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضا"[12] فهو

من الأوائل الذين درسوا المجتمعات دراسة واقعية، وقسّمها إلى طبقات متعددة؛ فالأمم عنده تنقسم إلى ثلاثة أقسام، منها:

أ. أمم متخلفة لاثقافة لها ولا حضـــارة، فهى أمم يقول الله تعالى عنها: "فهل ترا لهم من باقية"[13] يعني لن تراهم من باقياتهم.

ب. أمم متوسطة لها بعض شيء من الثقافة والآداب والأخلاق مثل: ببر والطيلسان وموقان وجيلان ومثل الزنج وأشباه الزنج.

ت. أمم مثقفة لها ثقافات وأخلاق وآداب، ويعني بها: العرب،وفارس، والهند، والروم/اليونان. والباقون من الأمم المتخلفة والمتوسطة فكلها تبع للأمم المثقفة؛ لذلك نرى خلال كتابه البيان والتبيين، عند ما يتحدّث عن أية قضـــية من القضـــايا الأدبية أو اللغوية فيقارنها بين أمم مثقفة، وإذا جاوز الكلام عنده أحيانا فيناقشـــها عند طبقة ثانية"المتوســـطة" من الأمم التي جاورت الأمم المثقفة، وتأدبت بآدابها، وتثقفت بثقافاتها، وتأثرت بحضارتها العلمية.

المعيار الثاني: مقارنة أجناس الأدبية

بقي أن يشـــير البحث إلى مقارنة الأجناس الأدبية عند الأمم المثقفة، فقد تحدّث عن المنظوم والمنثور بأنواعها المختلفة.كما لجأ إلى عدّة قضايا نقدية وبلاغية عند عند العرب وغيرهم نعرضها فيما يلي:

القضايا البلاغية والنقدية

تحدّث أبو عثمان عن عدّة قضايا بلاغية والنقدية، ففصّل الكلام عن علوم البلاغة الثلاثة خلال كتابه، إذ عرّف البلاغة بمفاهيم متعددة عند أقوام مختلفة، ثم فصّـل القول في "البليغ" وقال: فإن أردت اللســان الذي يروق الألسـنة، ويفوق خطيب، فإظهار ما غمض من الحق، وتصـويرالباطل في صـورة الحق، وزين ذلك كله، وبهاؤه وخلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدّلة، واللهجة نقية، فإن جامع ذلك الســـن والســـمت والجمال وطول الصـــمت فقد تم كل التمام، وكمّل كل الكمال".[14] ثم لجأ إلى "الفصـاحة " فذكر فصـاحة العلماء، وفصـاحة الشـعراء، وفصـاحة البلغاء، وفصـاحة الخطباء، وفصـاحة الفصـحاء.[15] وقد تحدّث الجاحظ عن "البيان" وقدّم أرآء العلماء فيه ،[16] فقسّـمه إلى خمسـة أقسـام، وهي: 1- اللفظ. 2- الإشارة. 3- العقد. 4- الخط. 5- الحال.[17] كما لجأ إلى "التشبيه"، و "المجاز" و "الاطناب"، و "السجع"،[18] و "الكناية".[19] وغيرها من علوم اللغة العربية وفنونها.

1- نماذج بلاغة العرب وغير العرب في البيان والتبيين:

أ. **مفهوم البلاغة عند غير العرب**: عرّف البلاغة عند غير العرب نقلا عن أبي الزبير،يقول: "خبّرني أبو الزبير كاتب محمد بن حسّان، وحدّثني محمد بن حبان، ولا أدري كاتب من كان- قالا:

i. قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

ii. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام .

iii. وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عن البداهة، والغزارة يوم الإطالة.

iv. وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. ومنهم من " قال جِماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة لمواضع الفرصة. ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تضع الافصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الافصاح أوعر طريقة".[20] فمن هنا نجد أن المفاهيم السابقة تلخص لنا ما يشتمل عليه علوم البلاغة الثلاثة: من البيان والمعاني والبديع.

ب. **تعريف البلاغة عند العرب**: عرّف الجاحظ البلاغة عند العرب نقلا عن بعض العلماء بقوله : "وقال بعضهم وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوّناه– لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلايكون لفظه إلى سمعك أسبقَ من معناه إلى قلبك".[21] وقد كان معجبا بتفسير ابن المقفع للبلاغة، فيقول:" لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط. سُئل ما البلاغة؟ قال: اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت، ومنها مايكون في الاستماع، ومنها مايكون في الإشارة، ومنها مايكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها مايكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل. فعامة مايكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى. والإيجاز هو البلاغة. فأما الخطب بين السماطين، وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير الخطل، والإطالة في غير إملال. وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خيرأبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت عاقبته.[22] بالإضافة إلى ذلك هناك عدّة تعريفات عرضها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين.

ت. **بلاغة العلماء**: أشار أبو عثمان إلى بلاغة العلماء وفصاحتهم بقوله: " وقد كانوا يمدحون شدّة العارضة، وقوّة المنّة، وظهور الحجة، وثبات الجنان، وكثرة الرّيق،والعلوَّ على الخصم، ويهجون بخلاف ذلك".[23] كما يقول: " وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة، والتحبير والبلاغة، والتخلص والرشاقة، فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر، والتكلف، والإسهاب والإكثار؛ لما في ذلك من التزيّد والمباهاة، واتباع الهوى، والمنافسة في العلو والقدر. وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة، لأن ذلك يدعو إلى السلاطة، والسلاطة تدعو إلى البلاء. وكل مراء في الأرض فإنما هو من نتاج الفضول. وإنما يهلك الناس في فضول الكلام وفضول المال. وفضول النظر من فضول الخواطر، وفضول النظر تدعو إلى فضول القول، وفضول القول تدعو إلى فضول العمل،؛ ومن تعوّد فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه، خرج إلى

استكراه القول. ومن حصّل كلامه وميّزه، وحاسب نفسه، وخاف الإثم والذم، أشفق من الضراوة وسوء العادة، وخاف ثمرة العجب وهجنة النفج، وما في حبّ السمعة من الفتنة، وما في الرياء من مجانيه الإخلاص"[24]. فمن هنا نرى أنه كيف بسط القول في بلاغة البلغاء، وكشف عن محاسن الكلام الذي جرى على لسان البلغاء، كما عاب على الكلام الهجين والرديئ المذموم؛ فلا يمكن لك أن تضعهما في مستواء واحد, فكيف تظن وأنت أمام كلام الله المعجز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وكلام الفصحاء والبلغاء من العرب الذي عجزوا عن أن يأتوا من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

بلاغة النظم القرآنى وموازنته بغيره من كلام العرب: نرى أن الجاحظ من الذين يظنون أن القرآن الكريم معجز بأسلوبه المتميّز وبألفاظه المتينة، وبتعبيراته المغايرة عن تعبيرات فصحاء العرب وبلغائهم، فهو عند ما ناقش بلاغة القرآن الكريم، وقارن بينها وبين فصحاء العرب وبلغائهم، وجد أن كل أنماط كلام العرب من منثور ومنظوم تخلفت وعجزت بما عبّر عنه القرآن الكريم، فيقول: " ولابد من أن نذكر فيه أقسام تاليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الحروف الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان، وتاليفه من أكبر الحجج".[25] فها هوولید بن مغيرة الّذي يصفه العرب بريحانتهم وحكيمهم سمع الآيات التالية من النبي صلى الله عليه وسلم :"حَم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ . مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّة بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّار".[26] فلما سمع ذلك قام حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: "والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لُمْثمِر، وإنّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقْ، وإنّه لَيْعلو وما يُعْلى عليه".[27]

ولعلّ الوليد أوّل من تنبّه إلى عظمة القُرآن وآي الذكر الحكيم، وهو من بُلغاء عصر الوحي وزمن نزوله، ومن شيوخ قُريش وعوارف العرب في الأدب الجاهلي، والخبراء بصناعة الإنشاء، ومن هذه المنطلقات جاءت كلمته المأثورة تلك، سبيكة مرصعة، تعدّ أول مقارنة أو تقريض ناله القرآن من خبراء عصره ومصره، وإنْ حمله المحدثون إلينا عارياً عن التفسير. ولعمري إنّها شهادة من الخبير العدو، الّذي التجأ إلى الإعتراف بدافع من ضميره، وإن أثر عنه تفسير آخر للقرآن الكريم دفعه إليه تعلقه بدين آبائه وسنن قومه، سيوافيك نقله.

1ــ فقوله: "ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ ."معناه أنّ المعروف من كلام الإنس المنثور، سبك العبارات غير مقيدة بالأســـجاع والقوافي، فإذا أتوا بهما على عفو الخاطر، لم يلتزموا بها متقاربة قصـــيرة الخطوات، بخلاف كلمات الجن الّتي سمعوها على ألســـنة الكهنة كعبارات مجملة صـــغيرة الحجم، كثيرة المقاطع مقرونة بأسجاع وقوافي، وعليها مسحة من غرابة الألفاظ ومجانسة الحروف وغموض المعاني. فَلَوَّح الوليد إلى أنّ هذا القرآن ليس من هذا القبيل; لا هو على أســاليب كلام الناس، ولا على أســاليب كلام الكهنة المترجمة للغة الجن والشياطين، ولا مزيجاً من هذا وذاك.

2 ــ و قوله: "إنّ له لحلاوة": يريد أنّه شهي جذّاب للنفوس، جلاّب للميول، خلاّب للعقول، ترتاح إليه الأرواح.

3 قوله: "وإنّ عليه لطلاوة"، أي إنّه محلّى بألفاظ جميلة وأنغام مقبولة.

4 ـ قوله: "إنّ أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق"، يريد أنّ القرآن كشجرة كبيرة، غصونها زاخرة بالثمار وجذورها مســتحكمة واســعة الإنتشــار في أعماق الأرض. فإذا كان القرآن معجزا بنظمه من ناحية، فإنه معجز بنواحيه البلاغية المتعددة، ومنها: إعجازه ببلاغة التكرار. وقد لجأ إلى هذا النوع من الإعجاز كثير من العلماء منهم أبو عثمان عمرو بن البحر الجاحظ.

بلاغة التكرار: يعدّ التكرار من قضــايا نقدية في التراث العربي البلاغي والنقدي القديم، فمن كبار علماء الذين تكلموا عن مهمّته في الكلام بصـفة عامة، وفي النص القرآني بخاصـة هو الجاحظ الذي عاب كثرة التكرار في الكلام من ناحية، وأحســـنه في القصـــص القرآنية من ناحية أخرى، بقوله: "وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حدٌّ ينتهى إليه، ولايؤتى إلى وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضر من العوّام والخواص. وقد رأينا الله عزّ وجلّ وردّد قصّــة موســى، وهود، وهارون، وشــعيب، وابراهيم، ولوط، وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبيّ غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب".[28] نلاحظ أن كثرة التكرار عيب في كلام الناس وأثقل من نقل الصـــخرة؛ لذلك مدح الجاحظ الأدباء الذين لايكرّرون الكلام،ولا يلجؤون إليه، ومنهم جعفربن يحى وكان "أنطق الناس، قد جمع الهدؤ والتمهل، والجزالة والحلاوة، وإفهاما يغنيه عن الإعادة– التكرار– ولو كان في الأرض ناطق يســتغني بمنطقه عن الإشــارة، لاســتغنى جعفر عن الإشــارة كما اســتغنى عن الإعادة".[29] فمهمة الترداد في نظر الجاحظ هو التذكرة، والتأكيد والتثبيت والتنبيه ففي ذلك الوقت مقبول، وإلّا فهو مذموم في كل الأحوال. هذه هي من أهم ملامح البلاغة التي لجاء إليها الجاحظ خلال كتابه الذي يعدّ من موسوعات النقد الأدب العربي في القديم والحديث.

2– المقارنة بين أدباء العرب والفرس

تأثرت كتابات الجاحظ الأدبية والنقدية بثقافات متعددة، فعند ما كان يكتب عن أيّ قضية من القضايا اللغوية، يناقشها بين آراء الأمم المثقفة؛ ليفهمها فهما صحيحا ثم يقدم عنها نبذة مختصرة لقارئه، وموقفا عالميا لأقوام العالم كله، وذلك بأنه عاش في العصر العباسي الذي تأثر بثقافة الفرس، واحتلط العرب بالعجم وعلى رأسهم الفرس الذين اشتركوا في خلافة العباسية، فكانوا تجارا، وعمالا، وكتابا، وزراء وسفراء ومعظمهم كانوا البيروقراطيين والمستشارين للخلفاء والخلافة العباسية في البغداد، فأخذ الجاحظ منهم مادة غزيرة من اللغة الفارسية؛ فتأثرت كتاباته بأدباء الفرس وعلمائهم، فهو ينقل من الفرس ليقارن بين الثقافتين: العربية والفارسية، هنا يلخص البحث بعض ما يهمه فيما يلي:

i. **مفهوم العِيّ عند الفرس**: كلمة "العيّ" تُعرف الآن كمصطلح يدل على "العجز عن التعبير بالكلام عما يريده أو هو العَجْزُ عن التعبير اللفظيّ بما يفيد المعنى المقصود"[30] فهو ضد البيان[31] وقد لجأ الجاحظ إلى بيان هذه الكلمة بنواحيها المتعددة، وفصّل الكلام عن مفاهيمها عند العرب والفرس، فاستدلّ بكلام العلماء والأدباء، والأمراء من العرب والفرس في تفسير العي، فاختار قول بزرجمهر بن البختكان في جواب كسرى أنوشروان: " وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسي: أيّ شيء أستر للعي؟ قال: عقل يجمله. قالوا فإن لم يكن له عقل. فمال يستره. قالوا: فإن لم يكن له مال. قال: فإخوان يعبّرون عنه. قالوا فإن لم يكن له إخوان يعبّرون عنه . قال: فيكون عِيِّيًا صامتا. قالوا فإن لم يكن ذا صمت. قالوا: فموت وحيّ خير له من أن يكون في دار الحياة"[32] فمن هنا وصلنا إلى أن "العيّ" عجز في النطق وعدم التمكن من إظهار مراد الكلام. فهو عدم الاهتداء لوجه المراد في أمر أو حاجة، فهو نوع من أنواع اللثغة والحبسة.

ii. **بين الفارسي والخراساني**: لاشك أن الخراسان من الفارس، لكن نجد في "البيان والتبيين" عدّة مشاكل تحدّث عنها الجاحظ، و من أهمها: التراكيب الخاطئة، والخطأ الإعرابي في بعض أمثال وأقوال الفرس وأهل الخراسان فيقول: قال الفارسي لأهل مجلسه "ما من شرّ من دَين" وأنه قال حين قيل له لمَ ذاك يا أبا فلان؟ قال: "من جرّى يتعلقون".[33] يقول الجاحظ: وما نشك أنه قد ذهب مذهبا. كما فعل الجهير الخراساني النخاس، حين قال له الحجاج: أتبع الدواب المعيبة من جند السلطان؟ قال: "شريكاننا في هوازها، وشريكاننا[34] في مداينا، كما تجيئ تكون "[35] فلايفهم العرب مثل هذه العبارة المكوّنة بتراكيبها الخاطئة، فمن هنا يأتي دور الجاحظ ليوضح أمثال هذه العبارات فيقدمها إلى القارئ العربي المبين فيقول- ويعنى بهذه العبارة- شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن، يبعثون إلينا بهذه الدواب، فنحن نبيعها على وجوهها.[36]

iii. **بين الفرس والعرب**: علاقة الفرس بالعرب علاقة وثيقة الصلة لمجاورتهم فيما بينهم، لذلك نجد التأثر والتأثير في أشياء متعددة. قد بيّن صاحب البيان والتبيين هذه الصلات بين أهل البصرة والفرس من ناحية، وبين العرب العاربة والفرس من ناحية أخرى كما أنه أشـار إلى بعض الصـلات التي كانت بين أهل الكوفة والفرس بقوله: " ولو علق على لغة أهل البصـرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصـى بلاد العرب كان ذلك أشـبه ، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصـى بلاد العرب".[37] كما يبيّن لنا تأثر أهل البصـرة والكوفة بغيرهما، فيقول: " و أهل البصـرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة. ويسميها أهل الكوفة: "الجهارسوك"، والجهارسوك فارسية. ويسمون: السوق وسويقة "وازار" ، والوازار بالفارسية. ويسمون: "القناة" خيارا، والخيار بالفارسية. ويسمون: المجذوم ويذى —وهي كلمة– فارسـية"[38] نلاحظ أن الجاحظ هنا يناقش قضـايا عديدة، منها: علاقة أهل البصـرة بالعرب أكثرمن علاقتهم بالفرس،[39] كما علاقة أهل الكوفة بالفرس أكثر من علاقتهم بالعرب؛ لذلك نجد الفروق الواضـحة بين كلام أهل الكوفة والبصـرة ، والسـبب في ذلك صـلاتهم القوية بجيرانهم وتأثرهم الشديد من العرب والفرس على حدة. بالإضافة إلى ذلك أشار الجاحظ إلى بعض الصـلات بين الفرس وأهل الكوفة ومدى تأثرهما، فبيّن بعض المشـتركات التي يجدها بينهما، ومنها: كلمة "بال" ويعني بها "المسحاة" فيقول: وأهل الكوفة يسمون "المسحاة" بال. وأصل هذه الكلمة تنسـب إلى الفارسـية. كما تحدّث عن "البازروج" ويعني بها "الجوك"، فيقول: ويسـمى أهل الكوفة: "الجوك" الباذروج. و"الباذروج" كلمة فارسية، والجوك كلمة عربية .[40]

iv. **بين الفرس وأهل المدينة**: مدح الجاحظ كلام أهل المدينة وأساليب العبارات بقوله: "ولأهل المدينة ألسـن ذلقة،وألفاظ حسـنة، وعبارات جيدة، واللحن في عوامهم فاشٍ، وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب"41 ثم ظهر هنا خلط بين أهل المدينة والفرس فبدأت الصـلات بين الثقافتين؛ فتأثر أهل المدينة بالفرس فبدؤوا يستخدمون الكلمات الفارسية بلغتهم العربية. يقول الجاحظ: " ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسـمون البطيخ الخربز، ويسـمون السـميط الرزدق، ويسـمون المصـوص المزور، ويسـمون الشـطرنج الأشطرنج" وغير ذلك من الأسماء أيضا".[42] فمن هنا وصلنا إلى أن اللغة الفارسية لها يد واسعة ، ولها صـلات وثقية باللغة العربية. واللغة الفارسـية بمرتبة أولى من اللغات التي أثرت على اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

v. **مقارنة القصاص بين الفارسية والعربية**: أدب القصة من أهم الأجناس الأدبية في كتابات الحاحظ بعامة والبيان والتبيين بصـفة خاصـة، فعند ما تحدّث عن الأجناس الأدبية الأخرى، لجأ إلى هذا

الجنس من الأدب، ودرسه في كتابه دراسة مقارنة بين الأمم المثقفة، وخاصة عند العرب والفرس. ومثّل لذلك قصاصا متعددين، ومنهم أبو بكر الهذلي، و موسى بن سيار الأسواري. وعنهما يقول الجاحظ: "ومن القصاص أبو بكر الهذلي وهو عبد الله بن سلمى[43] وكان خطيبا قاصا، وعالما بيّنا، وصاحب أخبار وآثار. وهو الذي لما فاخر أهل الكوفة قال: "لنا الساج والهاج، والديباج والخراج، والنهر العجاج".[44] ثمّ بدأ يقدم لونا أدبيا من ألوان الأدب الفارسي والعربي معا، فيقول: "ومن القصاص: موسى بن سيار الأسواري[45] – نسبته إلى أساورة – وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فلايدرى بأيّ لسان هو أبين. واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضَيم على صاحبتها إلا ماذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسواري. ولم يكن في هذه الأمة بعد موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن سيار"[46] فهنا يقدم لنا الجاحظ نبذة مختصرة من ناحية، ولونا أدبيا متميزا ومزدوجا بالعربية والفارسية من ناحية أخرى.

vi. **عيوب الكلام عند الخراساني والفارسي**: أشار الجاحظ إلى بعض العيوب التي يواجهها الخراساني أثناء التخاطب، فيغيّر الحرف بحرف آخر عند النطق، فاستدلّ بنطق أبي مسلم الخراساني الذي إذا أراد أن ينطق حرف "الذال" فنطقها "دالا".[47] كما أشار الجاحظ إلى لكنة هاني بن قبيصة كاتب عبيد الله بن زياد والي عراق الذي أصيب بلكنة فارسية، فكان يغيّر "الحاء" إلى "الهاء" فيقول: "أهروري سائر اليوم" ويعني بها "أحروري سائر اليوم".[48] هذه هي أهم مظاهر اللحن التي تحدّث عنها صاحب البيان والتبيين.

3 – المقارنة بين أدباء العرب واليونان/والروم

ليس غريبا أن نرى في لغات العالم القديم والحديث صلات منطقية وثيقة. فقد ذهب البعض إلى أن اللغة العربية "الارامية " التى كان لها إمتداد جغرافي في الكثير من البلدان عبر العصور من الهند الى اسبانيا كان لها تأثير أيضا على لغات هذه البلدان فتأثرت اللغات بعضها ببعض. ففي اللغة اليونانية "الاغريقية" العديد من هذه المفردات التي تشير إلى إنتماء اللغتين الى أصل واحد ، و فيها أيضا ما يدل على أن أصل تسمية هذه اللغة الاغريقية عربيُ أيضا.[49] فقد قويت الصلات والعلاقات بين العربية واليونانية في العصر العباسي على أيدي العلماء المترجمين من السريان، فكان بعض العلماء والأدباء يعرفون اليونانية، ومنهم الجاحظ الذي أخذ جزءا من الفلسفة اليونانية ونقله في كتاباته بعامة و في "البيان والتبين" بخاصة، ومثال ذلك ما قدّمه عن ملوك اليونان، وتكلم عن أدباء الإغريق، وأشار إلى بعض مجانينهم، وتحدّث عن بعض الرومانيين ورحلاتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، يلخصها البحث فيما يلي:

i. **بين أدباء اليونان والعرب:** قدّم لنا الجاحظ صورة حادث وقع في التراث اليوناني وهو موت الإسكندر صدمة عظيمة عندهم. فلجأ الجاحظ إلى بيان تلك اللحظات التي اجتمع فيها الجمهور من العلماء والخطباء والأدباء، وصوّر لنا خطبة خطيب منهم بقوله:"قال أبو عثمان: ولما قال أحد الخطباء الذين تكلموا عند راس الإسكندر، قال أحدهم: الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس. فأخذه أبو العتاهيئة فقال:

بكيتك يا علي بدرّ عيني — فما أغنى البكاء عليك شيّا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر– كذاك خطوبه نشرا وطيا
كفى حزنا بدفنك ثم أني– نقضت تراب قبرك عن يديا
وكانت في حياتك لي عظات– وأنت اليوم أوعظ منك حيا.[50]

فإذا كان الجاحظ يقدم لنا صورة واقعية عن موت الإسكندر اليوناني وما جرى بعد وفاته، فهي صورة واقعية عن الثقافة اليونانية كما أنه يقدم لنا موقف أدباء العرب بتلك الصورة التي صورها لنا أبو العتاهية في أبياته المذكورة، فهي أيضا صورة واقعية فنية من الثقافة العربية. فالجانب المشترك بين خطيب يوناني وشاعر عربي هو "الموت" لكن يفرّق بين أسلوبهما بأسس بلاغية.

ii. **بين مجانين اليونان والعرب:** ومن الألوان الأدبية التي نجدها في "البيان والتبيين" هو كلامه عن مجانيين العرب واليونان، ومن ضُرب به المثل منهم، ونوادر من كلامهم المنثور والمنظوم، فيقول: وإذا سمعتموني أذكر مجانين العرب واليونان "فلست أعني مثل مجنون بن عامر، ومجنون بن جعدة، وإنما — أعني– مثل: أبي حيّة في أهل البادية، ومثل جعيفران في أهل الأمصار، ومثل: أريسيموس اليوناني".[51]

iii. **بين الرومان والعرب:** نجد في "البيان والتبيين" بعض نماذج أدب الرحلة، وذلك عند ما يتحدّث الجاحظ عن بعض الوفود التي كانت تأتي للقاء الخلفاء العباسيين، وأمرائهم، وعلمائهم فتحدّث عن مظاهر عاداتهم عند التحدّث، وأساليبهم المختلفة لأحوال متعددة من الفرح أو السرور والحزن أو الخوف؛ فنقل عن أبي عبيدة: إنه "قال: وتقول الروم: لو لا ضجة أهل روميّة وأصواتهم، لسمع الناس جميعا صوت وجوب القرص في المغرب"[52] فمن هنا تبرز شخصية الجاحظ العالمية بما يعكس كتابه الشهير "البيان والتبين" من النماذج الأدبية والنقدية من الأداب الإنسانية، فهو من الأوائل الذين لجؤوا إلى عالمية الأدب الإنساني بمرتبة أولى، وتقسيمه إلى الأدب اليوناني، والروماني، والفارسي، والهندي، والعربي بمرتبة ثانية.

iv. **كلامه عن بعض المشـــاكل اللغوية:** فصـــلّ الجاحظ القول عن اختلاف لغات الأقوام المختلفة فذهب إلى أن اللغات تختلف بعضـــها عن بعض باختلاف مبانيها الخاصـــة بها دون غيرها من اللغات كما"قال الهيثم بن عدي: ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها، كنحو اســـتعمال الروم "الســـين" واســـتعمال الجرامقة "العين". قال الأصـــمعي: وليس للروم "ضـــاد" ولا للفرس "ثاء" ولا للســـريان "ذال".[53] فمن هنا أثبت الجاحظ كثرة اسـتخدام "السـين" في لغة الروم. كما لاتجد فيها حرف"ضاد" قط.

4 – كلامه عن الهنود ومظاهر ثقافتهم

تأثر الأداب والثقافات بعضـــها ببعض ليســـت فكرة جديدة بل منذ القدم نجد أن الأفراد والجماعات والشـــعوب والثقافات والآداب تتأثر أخذا بعضـــها عن بعض. فالكتاب "البيان والتبيين من كتب الجاحظ التي تقدم لنا ملخصـــا عن بعض آثار الثقافة الهندية التي كانت متوفرة في الثقافة العربية في عصر الجاحظ. فهو من العلماء العرب الذين لجؤوا إلى ملامح الثقافة الهندية، ومدى تأثير هذه الإشارات في الثقافة العربية وآدابها، فذكروها في كتاباتهم الأدبية والنقدية، ومن أهم الإشـــارات التي نجدها في البيان والتبيين هي فيما يلي:

أ. **كلامه عن بعض قبائل الهنود:** تحدّث الجاحظ عن بعض قبائل الهنود وما جرى فيها من الحروب، ومن أهمها "قبيلة الزط" التي طال عليها الصـــمت بطول التفكر عندهم بعد ما جرت المحاربة فيما بينهم،فبدؤوا يلحنون في كلامهم عند التحدث. يقول: "ولما طال صـمت أحدٍ ثَقُلَ عليه الكلام، فكان لسـانه يلتوى، ولايكـاد يبين. وأخبرني محمد بن الجهم البرمكي أن مثل ذلك اعتراه أيام محاربة الزط من طول التفكر ولزوم الصمت"[54] فمن هنا يشير الجاحظ إلى أن من أسباب اللحن في اللغة أو الكلام هو كثرة الصمت. وقد أثبت علم اللغة التطبيقي في مهارة المحادثة وكثرة الكلام تقوي لغة المتعلم؛ لذلك يقول: "وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره".[55]

ب. **كلامه عن بعض المصـنوعات الهندية:** لقد أشـار الجاحظ إلى بعض الأشـياء التي كانت تسـتخدم في عصر الجاحظ وما قبله، ومن أهمها: "السيف المصنوع من حديد الهند، ويسميه أحيانا المهند".[56]

ت. **ذكر أطباء الهند وآراءهم الأدبية والبلاغية:** ذكر بعض العلماء أن جماعة من الأطباء الهندوس جاءت بعد صـــنجهل وأثروا بمؤلفاتهم الرائعة في الطب وغيره من العلوم. إنهم كانوا يعدّون من الكتاب الأفاضـــل والأطباء الحذاق والكماء المشـــهورين، إنهم قاموا بوضـــع وترتيب أصـــول وقواعد عن النجوم. اعتنى أهالي الهند كلهم بمؤلفاتهم ونقلوا أفكارهم وأخيلتهم. ومن أشـــهر الأطباء الهندوس: منكة،[57] وبازيكر،[58] وقلّ برقل،[59] وسـندباذ.[60] وقد قال عنهم أبو عثمان الجاحظ: " قال معمّر، أبو الأشـعث: قلت لبهلة الهندي

أيام اجتلب يحي بن خالد أطبّاء الهند، مثل: منكة، وبازيكر، وقلبرقل، وسندباذ، وفلان وفلان: ماالبلاغة عند الهند؟ قال بهلة عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة، فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها، وتلخيص لطائف معانيها. قال أبو الأشعث: فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فإذا فيها: أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، لايكلم سيّد الأمة بكلام الأمة ولاالملوك بكلام السوقة.ويكون في قواه فضل التصرف في كلّ طبقة، ولايدقق المعاني كل التدقيق، ولاينقح الألفاظ كل التنقيح، ولايصنفهاكلّ التصفية، ولايهذبها غاية التهذيب، ولايفعل ذلك حتى يصادف حكيما، أو فيلسوفا عليما، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة، لا على جهة الاعتراض والتصفح، وعلى وجه الاستطراف والتطرف. قال: ومن علم حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحال له وفقا، ويكون الاسم له لافاضلا ولامفضولا، ولامقصورا، ولامشتركا، ولامضمنا، ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أوّل كلامه، ويكون تصفحه لمصادره، في وزن تصفحه لمصادره، ويكون لفظه مونقا، ولهول تلك المقامات معاودا. ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تُواتيه آلاته، وتتصرف معه أداته، ويكون في التهَمة لنفسه معتدلا، وفي حسن الظن بها مقتصدا؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلما، فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها، أمنها فأودعها تهاون الآمنين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل".[61]

مضافا إلى ذلك هناك آراء في الأدب والبلاغة نقلت إلينا عنهم، وقد كان من أتى إلى بغداد من أطباء الهند وغيرهم يحملون معهم كتبا وصحفا في مواضيع شتى منها الأدب الهندي.إذن كان مع هؤلاء الأطباء الهنود صحففي موضوعات غير موضوعاتهم الطبية، وكان العلماء يخالطونهم، ويسألونهم في شتى المسائل، وكان هناك تراجمة يترجمون من الهندية إلى العربية كما كان هناك شوق لتعلم الناس ما عند كل أمة ليقارنوا بينها، ويأخذوا أحسنها. وقد نقلت إليهم هذه الفقرة الهندية في البلاغة، فرأيناها تصاغ فيما بعد في كتب البلاغة العربية بما سموه "مقتضى الحال"، وسماه علم اللغة النصي "المقامية".

ث. **إشارته إلى بعض القصص الهندي:** تأثر الأدب العربي بالأدب الهندي بنواحيه المتعددة ومنها في مجال القصة، فمن القصص الهندي التي أشار إليها الجاحظ في البيان والتبيين هي: "كليلة ودمنة"[62] فقد كان أصل هذه القصة هندي نقلت إلى الفارسية، ثم نقلت منها إلى العربية مع بعض الزيادات على الأصل الهندي.[63] كما كانت قصة "السندباد" أيضا من القصص الهندية التي لها تأثير بالغ في الأدب العربي وأشار إليها الجاحظ في كتاباته.[64] بالإضافة إلى ذلك هناك بعض القصص المجهولة يشير إليها بدون

تسـمياتها، كما يقول:"وسـأل بعض العرب رسـولا قدم من أهل السـند: كيف رأيتم البلاد ؟ قال: ماؤها وشـلٌ، ولصّـها بطل، وتمرها دقل. إن كَثُر الجند بها جاعوا وإن قلّوا بها ضـاعوا".[65] هكذا كان نجد بعض الإشارات المبعثرة عن الهنود وثقافتهم في البيان والتبيين.

ج. **كلامه عن أدباء الهند:** كما تحدّث الجاحظ عن أبي عطاء السندي[66].

ح. **كلامه عن عيوب الكلام عند الهنود بصـفة عامة و أهل السـند خاصـة:** اهتم البيان والتبيين بمخارج السـندي واللكن التي يواجها السـندي بنطق الحروف العربية، وتمثّل ببعض النماذج، منها: تقليب "الجيم زايا"[67]، فيقول: " وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون. فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لايستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في علياء تميم وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما"[68] بإلاضـافة إلى ذلك قدّم الجاحظ نموذجا آخر عن العجوزة السـندية التي كانت مصـابة بلكنة سـندية، فتغير "القاف كافا"، فإذا أرادت أن تقول "القمر- قلت" قالت: "كمر-كلت".[69] بناء على الإشـارات التي نبّه إليها الجاحظ نرى أن المشـاكل والصـعوبات التي يواجهها أهل السـند والهند والباكستانيون في نطق الحروف العربية لتشابهها بلغاتهم المحلية وعلى رأسها اللغة الأردية يشير إليها البحث هنا. من أشهر الحروف التي تتشابه نطق بعضها ببعض فيما يلي:

1	التاء	الطاء	2	الثاء	السين
3	الحاء	الخاء- الهاء	4	الدال	الضاد
5	الذال	الزاي	6	الزاي	الظاء
7	االصاد	السين	8	الضاد	الظاء- الزاي
9	العين	الهمزة	10	القاف	الكاف

هذه هي أهم النماذج التي أشار إليها البحث، ويستقل البحث الآخر لهذه المشاكل إن شاء الله.

5- كلامه عن الزنج: الزِّنْجُ : جيلٌ من السـودان يتميز بالجلد الأسـود، والشـعر الجعد، والشـفة الغليظة، والأنف الأفطس، يسكن حول خط الاستواء، وتمتدُّ بلادهم من المغرب إلى الحبشة، وبعض بلادهم على نيل مصـر . فقد لجأ الجاحظ إلى بعض الأخطأء التي تحدث عند هؤلاء الزنج بسـبب نزع ثناياها، وذلك أثناء بيان أهمية الأسـنان فينقل الجاحظ عن سـهل بن هارون أنه قال: " لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان، لما نزع ثناياه"[70] كما يوضـح أيضـا سـبب نزع الزنج ثناياها فقال: " قال أبو الحسن المدائني: وسألت مباركا الزنجي الفاشكار،[71] لمَ تنزع الزنج ثناياها؟ ولمَ يحدّد ناس منهم أسـنانهم؟ فقال:أما أصـحاب التحديد فللقتال والنهش، ولأنهم يأكلون لحوم الناس، ومتى حارب

ملك ملكا فأخذه أسيرا أو قتيلا أكله، وكذلك إذا قاتل بعضهم بعضا أكل الغالب منهم المغلوب".[72] هنا يوضح لنا صاحب البيان والتبيين أهمية الأسنان وعلى رأسها الثنايا؛ لأن لها دورا بارزا، وأهمية بالغة فعالة في نطق حروف لغة ما،ولاسيما في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان. هذه هي بعض أهم الإشارات المبعثرة التي يعتبرها البحث من ملامح الأدب المقارن على مستوى الثقافات العالمية وسيشير البحث إلى بعض مظاهر المقارنة بين اللغات السامية.

القسم الثاني:المقارنة بين الأداب السامية

من مظاهر الأدب المقارن في البيان والتبيين هو كلام الجاحظ عن موازنات بعض اللغات السامية ومشاكلها، وذلك أثناء كلامه عن اللغات ومعايب الكلام، فقد ذكر قصة موسى عليه السلام وما يواجه من مشاكل البيان والافصاح في تبليغ رسالته، فيقول: " وقد زعم ناس من العوّام أن موسى عليه السلام كان ألثغ، ولم يقضوا من الحروف التي كانت تعرض له على شيء بعينه. فمنهم من جعل ذلك خلقة، ومنهم من زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم إمراء فرعون لزوجه: لاتقتل طفلا لايعرف التمر من الحجر فلما دعاه فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها إلى فيه، فاعتراه من ذلك ما اعتراه"[73] كما لجأ إلى لغة اسماعيل عليه السلام وما مدى علاقته باللغتين: لغته الأولى التي اكتسبها في حالة الطفولة. ولغته الثانية التي تعلمها أثناء المراهقة في قبائل العرب. فالجاحظ تحدث عن هذه المراحل قائلا: "ولابد من أن نذكر فيه شأن إسماعيل صلى الله عليه وسلم، وانقلاب لغته بعد أربع عشرة سنة، وكيف نسي لغته التي رُبِيَ فيها، وجرى على أعراقها، وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية على غير تلقين ولاترتيب، وحتى لم تدخله عجمة ولالكنة ولاحبسة، ولاتعلق بلسانه شيئ من تلك العادة".[74] فهنا أثبت صاحب الكتاب بأن التعلم والاكتساب شيئآن متفرقان، وتعلّم اللغة الثانية ليس أمر سهل مع ذلك تعلمها اسماعيل عليه السلام كل أساليب المستخدمة، كما تعلم كل طرق تلفظ الحروف أو الكلمات وجرى على أعراقها. ومن الملاحظات على العبارة المذكورة التي ادعت على نسيان اسماعيل لغته الأم، فهذا وهم فقط ولا دليل عليه بأنه عليه السلام نسي اللغة التي اكتسبها منذ الطفولة، وتعامل بها إلى أن يصل أربع عشرة سنة؛ لأنه لم يكن في ذلك المجتمع وحده ومعه أمه أيضا. والنقطة الثانية هو بأن الطفل يستطيع أن يكتسب أكثر من خمس لغات في وقت واحد بدون أن تختلط اللغات ببعضها عند عامة الأطفال، فكيف يُظَنُ بشأن الأنبياء والنسيان لايقرب إليهم أبدا.

بين النبطية والعربية: واللغة النبطية أحد فروعات اللغة السامية التي تتبع لهجة من لهجات السامية القديمة، استقل تدريجيا ليشكل ما يفترضه اللغويون .وتنسب هذه اللغة إلى شعب الأنباط يتكلمها.75 وعادة ذهب الجاحظ إلى بعض قضايا اللغة النبطية منها:

i. **مشـــكلة تراكيب النبطي**: يقول الجاحظ: "قيل لنبطي: لمَ اشـــتريت هذه الأوثان؟ قال: أركبها وتلَدلى، فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها، ولازاد فيها ولانقص، ولكنه فتح المكسور حين قال وتُدلى، ولم يقل تِلدلى".[76] فهنا يعني أبو عثمان بأن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، ونحن قد فهمنا معنى كلام النبطي، وعلمنا أن معناه كان صحيحا.

ii. **اللكنة النبطية** أشـار المصـنف إلى لكنة الأنباط خلال نطق بعض الحروف الهجاء فمنها: "الزاي، والســين" و "الهمزة والعين" يقول الجاحظ: " وكذلك النبطي القح يجعل الزاي ســينا، فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق، ويجعل العين همزة؛ فإذا أراد أن يقول مشـمعلّ، قال مشـمئل".[77] بالاضـافة إلى ذلك نجد في البيان والتبيين عدّة نماذج للكنة النبطية ، وذلك مثلا: في "الحاء والهاء".

iii. **خصـائص اللغة النبطية**: لكل لغة مميزاتها الخاصـة بها دون غيرها،وقد لجأ الجاحظ إلى بيان بعض خصائص اللغات السامية بعامة واللغة النبطية و الجرامقة بخاصة، نقلا عن الهيثم بن عدي أنه قال: " ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها فاستعمال الجرامقة للعين".[78]كما قلة استخدام "الحاء" و "الخاء في اللغة النبطية، وذلك بســـبب اللكنة النبطية عندهم. هذه هي من ملامح المقارنة على مستوى لغات السـامية في البيان والتبيين. فالحدود الفاصـلة بين الآداب السـامية في مجال الدراسـة المقارنة هي تعدد اللغات، فاختلاف اللغات شرط لقيام الدراسة الأدبية المقارنة. والآثار الأدبية التي تكتب بلغة واحدة لها علاقة غير مباشرة بمجال درس الأدب المقارن وإن تأثر بعضها ببعض.

القسم الثالث:الموازنة بين الأدب العربي على مستوى الدول والقبائل العربية

وقد جرت العادة أن نعد الأدب المقارن علما حديث الســـن وغربي النشـــأة، ولكنه في الحقيقة لايفتقد الماضـــي البعيد، ويمكن البحث عن أصـــوله حتى في التاريخ العربي القديم، فمنذ أن وجد الأدب وجدت الموازنة بين نصـــوصـــه، لتقييمها أو لمجرد حب الاســـتطلاع، أو لغايات تربوية، لأن الموازنة بين الألفاظ والمعاني، وبين المفردات والأساليب، مران على الفهم الصحيح، وتربية للحاسة الفنية، وتجيء حين يكون التشـابه بيّنا بين بيتين أو قصـيدتين أو صـورتين لمؤلفين مختلفين.وكانت الموازنة في تلك الأيام تعتمد على الحاسـة الفنية وحدها. وقد تعرف تعليلا لما تفضـله، يعتمد على القليل من الفروق في التراكيب والمعاني، وقد لاتعرف لذلك سببا. فلم يكن سوق عكاظ، والأسواق الأخرى في الجاهلية، إلا محاكم أدبية، توازن بين الشـــعراء في بســـاطة، لتحكم بالأفضـــلية لأديب على الآخر أو على الأدباء جميعا. وكانت بداية الموازنات وظهور النقائض وشيوع المعارضات منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الأموي ذات طابع جمالي بحت. فإذا ظهر مطلع العصر العباسي بدأ كل علم يستقل بمناهجه وغاياته، فشاعت الموازنة. وأصبحت سـبيلا مقررا للمفاضـلة بين الأدباء حين ينازع أهل الأدب واللغة، أيهم أشـعر. فوازنوا بين جرير والفرزدق

والأخطل، ومن بعدهم بين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية وأبي نواس من ناحية، وبين أبي تمام والبحتري والمتنبي من ناحية أخرى.[79] وهناك من وازن الأدباء العرب حسب أماكنهم المختلفة، وقبائلهم العربية، ومجالاتهم الأدبية، ومن رواد هذا الإتجاه هو أبو عثمان عمرو بن البحر الجاحظ في البيان والتبيين حيث تتميز كتاباته النقدية وتعتبر من المبادئ الأساسية في موازنة الأدب العربي القديم والحديث.ويقدم البحث هنا من بعض مظاهر الموازنة في البيان والتبيين للجاحظ كما يلي:

1- موازنة الأدب العربي حسب المكان

نجد في كتاب "البيان والتبيين" لأبي عثمان بعض الأنواع الأخرى من ملامح الأدب المقارن، وهو موازنة بين أدباء الدول العربية، ومدنها المختلفة،ومن أهم الأماكن التي نجد ذكرها في كتابات الجاحظ كثيرا، هي: موازنة بين أدباء العرب، وقضاة البصرة، وخطباء الكوفة، والشام، وشعراء مصر، وبلغاء مكة ، والعراق، وأدباء عمان، وغيرهم من العرب والعجم بعامة. ومن مظاهر هذا النوع من الموازنة فيما يلي:

أ. **الموازنة بين اختلاف ألفاظ أهل البصرة والكوفة والشام ومصر**: لجأء الجاحظ إلى بعض الكلمات المترادفة التي استخدامها عند أهل البصرة أكثر من مرادفها، فمثلا: كلمة "الحنطة" لها مترادفات منها: " القمح" و"برّ" وقد وازن بينها صاحب البيان والتبيين، وذلك أثناء كلامه عن لثغة واصل بن عطاء في "الراء" وكان يقول: "الحنطة" و "القمح" بدلا أن يقول: "برّ". يقول الجاحظ: و"الحنطة" لغة كوفية. و "القمح" لغة شامية. وهو يعلم أن لغة من قال "بُرّ"، أفصح من لغة من قال:"قمح" أو "حنطة".[80] بالإضافة إلى هذه الموازنة تحدّث عن أسباب الاختلاف بين لغاتها قائلا: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام والمصر".[81] بالإضافة إلى ذلك نجد أنه يوازن بين أديب وأديب والدليل على ذلك أنه وازن بين عبد الله بن زبير وبين خطباء أهل العراق و الشام، ثم فضّل عبد الله بن زبير على سائر خطباء أهل العراق والشام. وهذا من أوضح مظاهر الأدب المقارن في التراث العربي القديم.[82]

ب. **الموازنة بين أهل البصرة وأهل مكة**: تحدّث عن اللغة العربية عند شعراء أهل مكة والبصرة، فذهب إلى موازنة بعض أدباء مكة والبصرة وتفاخر أحدهما على الآخر بفصاحته وتفوق بلاغته، يقصّ الجاحظ هذه القصة قائلا:"حدّثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح، قال: قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر: "ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر: أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم. وأنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور، وقال الله عزّ وجل: وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ[83]. وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عُليّة، وتجمعون هذا الاسم على علالي، ونحن

نســـميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف. قال الله تبارك وتعالى: غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ [84]. وقال تعالى: وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ[85]. وأنتم تســمون الطلع الكافور والإغريض، ونحن نســميه الطلع. وقال الله تبارك و تعالى: وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِـــيمٌ[86]. فعدّ عشـــر كلمات لم أحفظها أنا منها إلّا هذا."[87] بهذه الملامح وصل البحث إلى أن الجاحظ هو من الأوائل الذين أسسوا مبادئ المنهج الأدب المقارن في التراث العربي القديم.

ت. **الموازنة بين أدباء المتضـــادين والمتنافســـين من القحطانيين والعدنانيين:** البيان والتبيين من كتب أبي عثمان التي تجد فيها تنوع الموازنات بين الأدباء، وخاصة اهتمامه بالشعراء أمثال الطرماح[88] والكميت[89] ومدى تعصـــبهما إلى أهل الكوفة والشـــام. يقول أبو عثمان: "ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح. وكان الكميت عدنانيا عصـــبيا، وكان الطرماح قحطانيا عصـــبيا. وكان الكميت شـــيعيا من الغالية، وكان الطرماح خارجيا من العفرية. وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة، و كان الطرماح يتعصب لأهل الشام. وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين، ثم لم يجر بينهما صُرَم ولاجفوة ولا إعراض، ولا شيء مما تدعو هذه الخصال إليه. ولم ير الناس مثلهما إلا ما ذكروا من حال عبد الله بن زيد الإباضي، وهشام بن الحكم الرافضي، فإنهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة. وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة، الحال التي تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والحاسدة؛ للذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة، فكان يقال: لولا أنهما أحكم تميم لتباينا تباين الأسـد والنمر. وكذلك كانت حال هشام بن الحكم الرفضي، وعبد الله بن زيد الإباضي إلا أنهما أفضلا على سائر المتضادين، بما صارا إليه من الشركة في جميع تجارتهما".[90]

ث. **موازنة خطباء اليمن:** ومن مظاهر الأدب المقارن في كتابات الجاحظ موازنته عن أدباء اليمن وخطبائها، فقد قارن بين الكهان والحكام والعلماء والخطباء من قحطان قائلا: "ومن خطباء اليمن ثم من حمير: الصباح بن شُفي الحميري، وكان أخطب العرب"[91] فمن هنا وجد البحث أن المنهج المتبع عند الجاحظ في النقد الأدبي هو الأدب المقارن إذ يقدم بعضهم على بعض بأسايب المفاضلة بعد الموازنة.

ج. **موازنة أهل العراق بين المدح والذم:** هنا نوع آخر نجده في "البيان والتبيين" وهو ذكر أهل العراق بين المدح والذم، وقد أورد الجاحظ الآراء المختلفة بحق أهل العراق، منها جاءت فيها ذمها وقدحها. ومنها على مدحها والثناء عليها. فانقسم الأدباء والخطباء تبعا لذلك لسماطين خلال خطبهم فكان فيهم من يؤكد على أنها أفضل مقام وأهلها خير ملأ، وساق من الأدلة الروائية والتاريخية ماشاء الله. وفي مقابل ذلك ساق من يعتقد بأنها مذمومة منحوسة مالديه من الشواهد والبراهين المعززة بالوقائع التاريخية فضلا عن الروائية مايثبت صـــوابية موقفه، ومن ذلك خطبة الحجاج في ذمهم، فيقول أبو عثمان : "وقال

الحجاج على منبره: والله لألحونكم لحو العصا، ولأعصينكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. يا أهل العراق، ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق، إني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغي، ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب. وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصـــف فتنة. أى بني اللعيكة وعبيد العصـــان وأبناء الإماء، والله لئن قرعت عصـــا عصـــا لأتركنكم كأمس الدابر"[92] ومقابل ذلك نجد خطبة يزيد بن مهلب الذي يعد من فصـــحاء العرب وبلغائهم ، فقد مدح ابن مهلب أهل العراق بصـــفاتهم الجميلة، وأخلاقهم الحســـنة، ونذكر هنا ما ذكره الجاحظ نقلا عن مقاتل، قال سمعت يزيد بن المهلّب، يخطب بواســـط، فقال: "يا أهل العراق، ويا أهل الســـبق والســـبّاق ومكارم الأخلاق، إن أهل الشـــام في أفواههم لقمة دسمة زبّبت لها الأشـــداق، وقاموا لها على الســـاق، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال؛ فالبسوالهم جلود النمور".[93].

ح. **المقارنة بين قضـاة البصـرة** : منصـب القضـاء في الإسـلام من أعلى المراتب لقوله تعالى: " والله يقضـى بالحق"[94] فكان القاضـــي نائب عن الله في حكمه وفتواه يقول العلماء إنه أفضـــل من الجهاد لأن طباع البشـر مجبولة على التظالم وقل من ينصـف من نفسـه والإمام مشـغول بما هو أهم منه فوجب من يقوم به فإن امتنع الصـالحون له منه أثموا وأجبر الإمام أحدهم. ولقد جاءت دوحة الإسـلام برجال وقضـاة أفذاذ قوالين بالحق أمارين بالمعروف لا يعصون الخالق في طاعة المخلوق وهؤلاء هم الذين تحتاج الأمة إلى أمثالهم إذ الأمة لا تحتاج إلى شيء من الأخلاق احتياجها إلى العدل والمساواة وعدم الإغضاء على تعدى حدود الله رهبة من السـلطان؛ فمن هؤلاء الذين تحيا بهم الأمم وتشـرق بهم الأيام وتعلو بهم قداسـة الحق فتطيب بهم الأيام قضـاة البصـرة، فيقول عنهم أبو عثمان في كتابه: "وقد كان في بصـرة أربعة من القضـاة أمراء، وهم: بلال بن أبي بردة ابن أبي موسـى الأشـعري، و سـوّار، وعبيد الله، وأحمد بن أبي رباح. فكان بلال قاضيا ابن قاض ابن قاض، فيفضـل على سـائر القضـاة".[95] فمفاضـلة القضـاة بعضـها على بعض هونوع مهم من أنواع الأدب المقارن بحيث يفضـل صـاحب الكتاب بعضـهم على بعض. ففضـيلة "بلال قاضـيا ابن قاض ابن قاض" على جميع قضاة البصرة تعدّ من أفضل سمات الموازنة أو المقارنة.

خ. **مقارنة أدباء عمان**: مفاضـــلة الجاحظ لأدباء عمان من أهم سمات الأدب المقارن التي لجأ إليها عمر بن بحر خلال كتاباته، فقد مدح أدباء عمان كلهم، وفضـــل عليهم مســـلمة بن أبي حية لأنه أكهن العرب وأسـجعهم، ، فيقول: وأخبرني إبراهيم بن السـندي قال:دخل العماني الراجز على الرشـيد، لينشـده شـعرا، وعليه قلنســوة طويلة، وخف ســاذج، فقال: إيّاك أن تنشــدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور، وخفان ذمالقان"[96] وبعد ذكر هؤلاء يقدم المفاضـلة، فيقول: " أكهن العرب وأسـجعهم سـلمة بن أبي حية، وهو

الذي يقال عزّى سـلمة، ومرّة بن فهم التليد، وهو الخطيب الذي أوفده المهلب إلى الحجاج"[97].هكذا أسهمت كتب الجاحظ في تأسيس معايير المقارنة بين آداب الأقوام العالم ودولها وقبائلها.

2- الموازنة بين أدباء العرب على مستوى القبائل العربية

هنا نتطرق إلى قسـم أخر من الموازنة في كتابات الجاحظ ، وهو كلامه عن أدباء قبائل العرب المختلفة، ومفاضـلة بعضـهم على بعض. ففي هذا النوع من الموازنة تحدّث الجاحظ عن أصـحاب أخبار وأنسـاب العرب، وعن علماء وخطباء وشعراء الخوارج، وعن شعراء وخطباء أصحاب الرسول صلى الله عليه وسـلم، وخطباء النسـاك والعباد، وعرض لخطباء بني هلال بن عامر، وخطباء إياد، وعن شـعراء النقائض، والمخاصـمات والحوارات بين الجاهل والعالم وبين الأم وابنها، والمقابلات بين القصـير والطويل، وذكر الخلاف بين اللغويين من النحاة وغيرها من القضايا التي يفصل البحث من أهمها فيما يلي:

أ. **مقارنة أصـحاب أخبار وأنسـاب العرب:** إذا تصـفحت البيان والتبيين للجاحظ تجد فيه ذكر أصـحاب الأنسـاب والأخبار للقبائل العربية،فتحدّث عن النسّـابين العلماء، والنسّـابين الأخبار،والنسّـابين الخطباء والشـعراء لكل قبيلة، فوازن بينهم في قبيلتهم وفضّـل بعضـهم على بعض، فأخذ من كل قبيلة نخبة ، ثم فضل أبا بكر على نخبة النسّابين والأخبار قائلا: "ومن أصحاب الأخبار والأنساب أبوبكر الصديق، ثم جبيربن مطعم، ثم سعيد بن المسيب، ثم قتادة، ثم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة المسعودة، وكان أبو بكر أنسب هذه الأمة".[98] فمفاضلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على سائر النسّابين العرب وأخبار الأمة.

ب. **المقارنة بين علماء وخطباء وشـعراء الخوارج:** اختلف العلماء في التعريف الاصـطلاحي للخوارج، وحاصل ذلك: منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان. وقال الشـهرستاني: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسـان والأئمة في كل زمان"[99] ومنهم من خصـهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضـي الله عنه. قال الأشـعري:" والسـبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب".[100]وقد تحدّث الجاحظ عن أدباء الخوارج و فضّل بعضهم على بعض، ثم فضّل "قطري بن الفجاءة"[101] على سائر أدباء الخوارج قائلا: "ومن الخطباء الخوارج قطري الفجاءة، وله خطبة طويلة مشـهورة، وكلام كثير محفوظ، وكانت له كنيتان: كنيته في السـلم، وهي أبو محمد. وكنيته في الحرب وهي أبو نعامة"[102] فمن هنا وصـل البحث إلى أن البيان والتبيين يشـتمل على نوع كبير من الأدباء الخوارج، ففيه ذكر عن الخطباء، والعلماء والشعراء الخوارج، والنسّابين ورؤسائهم، لكن فُضِّلَ الفجاءةُ على سائرهم .

ت. **الموازنة بين الشـــعراء والخطباء** : الخطابة والشـــعر فنان قوليان ذائعا الصـــيت عظيما المكانة في الأدب العربي،الأول منثور مرســل والثاني موزون منظوم معقود بقواف،ومما يميز الخطابة أنها فن شـفهي أدبي بليغ غايته الإقناع والتأثير،يواجه فيه الخطيب الجمهور مباشـــرة،وهي إضـــافة إلى ذلك تختلف عن الشـــعر جوهريا"في الغريزة والنظم والبناء والوظيفة"، أما الشعر فهو بدوره فن أدبي غايته التأثير يختلف عن الخطابة في قيامه على وزن وقافية وبناءه يغاير بناء الخطابة،وهو مثلها يواجه فيه الشاعر الجمهور مباشرة مستخدما قناة الإنشـاد. مما سـبق أن القواسـم المشـتركة بين الخطابة والشـعر كثيرة ،والسـبب في ذلك أنهما إبداع، وعادة الإبداعات أن تتفق في أمور كثيرة كالتكوين والممارســـة ،ولعل القاســـم الجامع بين كل إبداع هو الموهبة وهي ذاك الاســتعداد الفطري الذي يجعل الفرد قادرا على الإبداع في مجال معين، وقد نجد البعض يمتلك موهبة مزدوجة فيجمع بين الشـعر والخطابة ومنهم :البعيث والطرماح والكميت والعتابي الذين كانوا شـعراء وخطباء في نفس الوقت. وقد ذهب صـاحب البيان والتبيين إلى الموازنة بين الشـعراء والخطباء نقلا عن أبي عمرو بن العلاء، قائلا: "قال أبو عمرو بن العلاء، كان الشـــاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشـــعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شـــأنهم، ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم، ويهيّب من فرسـانهم، ويهيّب من كثرة عددهم، ويهابهم شـاعر غيرهم فيراقب شـاعرهم. فلما كثر الشـعر والشـعراء، واتخذوا الشـعر مكسـبة ورحلوا إلى السـوقة، وتسـرّعوا إلى أعراض الناس، صـار الخطيب عندهم فوق الشاعر". [103] فمن هنا فضّل الجاحظ الخطيب على الشاعر وهذا موقف جمهور المحققين.

ث. **الموانة بين خطباء العرب**

خلال قرأت "البيان والتبيين" وجدت أنه يشـــمل عدّة موازنات بين خطباء العرب، فقد قارن بين خطباء أصـحاب الرسـول نقلا عن أبي الحسـن قال: "قال أبو الحسـن: كان أبو بكر خطيبا، وكان عمر خطيبا، وكان عثمان خطيبا، وكان علي أخطبهم". [104] كما جعل الموازنة بين خطباء النســـاك والعباد: فيقول:" ومن خطبائهم الحسن البصري ولانعرف أحدا يتقدم الحسن البصري فيها. وهؤلاء وإن لم يسموا خطباء فإن الخطيب لم يكن يشـــتق غبارهم". [105] ثم تطرّق الجاحظ إلى خطباء القبائل فقارن بين خطباء بني هلال بن عامرقائلا: "وأخطب الناس من بني هلال بن عامر، النعمان بن ذرعة ابن ضـــمرة" . [106] وفضّـل الجاحظ قس بن سـاعدة على جميع خطباء إياد، قائلا:"وهو الذي قال فيه النبي صـلى الله عليه وسلم رأئيته بسوق عكاظ على جمل أحمر يقول: أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا. آيات محكمات، مطر، نبات، آباء، و أمهات. يامعشـر إياد أين ثمود وعاد؟". [107] وكذالك وازن الجاحظ بين فضـل بن عيسـى الرقاشي مع الآخرين بقوله:" وكان الفضل من أخطب الناس، وكان متكلما قاضيا مجيدا، وكان يجلس إليه عمرو بن عبيد، وهشام بن حسان، وديان بن أبي عياش وكثير من الفقهاء، وهو رئيس الفضيلة"[108] وإليه

ينسبون".[109] بالإضافة إلى هذه الموازنات أشار الجاحظ إلى بعض الحوارات والنقاشات، فمنها حوار الأم والابن بأسجاع، فيقول: " ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها، فقالت: أما كان بطني لك وعاء؟ أما كان حجري لك فناء؟ أما كان ثدي لك سقاء؟ فقال ابنها: " لقد أصبحت خطيبة . رضي الله عنك" لأنها قد أتت على حاجتها، بالكلام المتميز كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبه"[110] مما سبق من نماذج الموازنات بين الخطباء العرب نجد أن الكتاب مصدر أساسي لأسس الأدب المقارن منظوما ومنثورا، فهو كتاب يرشد المبتدئين والمتقدمين من باحثي الأدب المقارن على السواء.

ج. المقارنة بين الشعراء:

لجا الجاحظ إلى بعض الموازنات التي ظهرت على لسان بعض الشعراء العرب خلال نقدهم لبعض، فيقول: "قال بعض الشعراء لصاحبه: أنا أشعر منك. قال ولمَ؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه. كما وازن روبه أشعار ابنه، فقال: "ليس لشعره قران". وجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه وكان حقه أن يوضع إلى جنبه.[111] كما يعرض لبعض نماذج الموازنة أثناء كلامه عن أشعار زهير ومفاضلة أشعاره على غيره من العرب نقلا عن العائشي، فيقول: قال العائشي: "كان عمربن الخطاب أعلم الناس بالشعر ولكنه كان إذا ابتلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني، وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء. كما وازن أشعار زهير بغيره وقدّم أشعاره على جميع الجاهليين لفضله بالصدق".[112]

ومن أوضح النماذج التي أشار إليها "البيان والتبيين" موازناته بين شعراء الهجاء[113]، وشعراء النقائض[114] فوازن بين شعر النابغة الجعدي والحطيئة من ناحية،[115] وتحدّث عن مناقشات الفرزدق والجرير من ناحية أخرى[116] فيقول: " وهذا هو الفرزدق كان مشتهرا بالنساء، وكان زيرغوان، وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور، مع حسده لجرير. وجرير عفيف لم يعشق امراءة قط، وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا". [117] مما سبق نجد أن الجاحظ وازن بين الأدباء حسب طبائعهم في مجالات مختلفة. فهو أحيانا يقارن بين الأدباء على أن بعضهم أشعر وأفضل منهم، كما قال بعض الشعراء لرجل أنا أقول في كل ساعة "قصيدة"، وأنت تعرضها في كل شهر، قال الرجل: لأني لا أقبل من شيطاني مثل ما تقبل من شيطانك.[118] وبعد ذكربعض النماذج وصل البحث إلى أن الأدباء قد تختلف حالاتهم النفسية، ففيهم من لايستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز، ومنهم من لايستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد، ومنهم من ليس في طواله بأشعر منه في قصاره، ومنهم من يجمع بين المنظوم والمنثور. فمن الشعراء من يخطب وفيهم من لايستطيع الخطابة، وكذالك حال الخطباء في قريض الشعر.

ح. المقارنة بين العلماء:

ومن صـــور الموازنة عند الجاحظ كلامه عن العلماء من المعلمين،والرواة، فيقول نقلا عن ابن عتاب إنه يقول: "يكون الرجل نحويا عروضيا، وقسّاما فرضيا، وحسن الكتاب جيد الحساب، حافظ القرآن، راوية للشعر، وهو يرضى أن يعلّم أولادنا بستين درهما. ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم؛ لأن النحوي الذي ليس عنده إمتاع، كالنجار الذي يدعى ليعلّق بابا، وهو أحذق الناس، ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصـرف. وصـاحب الإمتاع يراد في الحالات كلها".[119] وقد أورد صـورة من صـور الموازنة بين المعلمين والرواة من ناحية، والمعلّم والمتعلم من ناحية أخرى، فيقول: "وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير وأبي عدنان المعلّمين، وحالهما من أوّل ما أذكر من أيّام الصـبا"[120] فهو يوضـح لنا بأن البيان لا يتأتى إلا بعد أن يكون اللسـان أبين؛ ويكون القلب أشـدّ استبانة، فيقول:"وكلما كان اللسـان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشـدّ استبانة كان أحمد. والمفهم لك والمتفهم عنك شـريكان في الفضـل، وإلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلّم والمتعلم.[121]

بالإضـافة إلى هذه المقارنات أو الموازنات يجد قارئ كتابات الجاحظ الأدبية والنقدية وخاصـة قرّاء البيان والتبيين عدّة مظاهر الأدب المقارن من أنواع التقابلات، والمخاصـمات والمجادلات الأدبية و الحوارات النقدية والمنافسات المذهبية[122] والنقاشات اليومية في كلام عامة الناس وخطب الأدباء ومن أهم نماذجها موازنته بين الطويل والقصـير: فيقول الجاحظ: "نظر النعمان بن المنذر إلى ضـمرة بن ضـمرة، فلماء رأى دمامته وقلته قال: تسـمع بالمعيديّ لا أن تراه، -هكذا تقول العرب- فقال: ضـمرة: أبيت اللّعن إن الرجال لاتقال بالقفزان، ولاتوزن في الميزان، وإنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه".[123] فمن هنا يقول الجاحظ، قال بعض الحكماء: "لو كان الكلام من فضـة لكان السـكوت من ذهب".[124] كما أنشـأ الموازنة بين حكماء العرب وخاصـة حكمة علقمة وعامر: فيقول: "نظر عمر بن الخطاب إلى هر بن قطبة ملتفا في ناحية المسـجد، وراى دمامته وقلته، وعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم، فأحب أن يكشفه ويسبر ما عنده. فقال أرأيت لو تنافر إليك اليوم أيهما كنت تنفر؟ يعني علقمة بن علاثة، وعامر بن طفيل. فقال يا أمير المؤمنين لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة. فقال عمر بن الخطاب لهذا العقل تحاكمت العرب".[125] فالموازنة بين فصـحاء العرب وبلغائهم من الخطباء: بقوله: " وبعد هذا صـرنا إلى ذكر مايحضرنا من تسمية خطباء بني هاشم ، وبلغاء رجال القبائل، قلنا في وصفهما على حسب حالهما، والفرق الذي بينهما؛ ولأننا عسى أن نذكر جملة من خطباء الجاهليين والاسلاميين والبدويين والحضرويين، وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم".[126]

هذه هي بعض الملامح المختارة من الجزء الأول للبيان والتبيين لأبي عثمان عمر بن البحر الجاحظ، وبها يستدّل هذا البحث على أن العرب كانوا على علم واسع لتحديد المبادئ الأساسية لعالمية الأدب الإنساني من ناحية فطرية، ومقارنة آداب الأقوام العالم من ناحية طبيعية، وتمييز بعضها ببعض حسب الأسس القومية. وهذا كله يجد القارئ المجيد والناقد الخبير في كتابات الجاحظ الأدبية والنقدية بعامة وفي البيان والتبيين بصفة خاصة، وذلك أثناء كلامه عن آداب الأقوام المثقفة، ومنها: الأدب اليوناني والروماني، والأدب الفارسي، والأدب الهندي والأدب العربي.

خلاصة البحث ونتائج:

ملخصا لكلما سبق يمكن للبحث أن يستنتج ما وصل إليها خلال الدراسة، ومن أهم ما استنتجه فيما يلي:

1) وصل البحث إلى أن البيان والتبيين موسوعة من موسوعات الأدب المقارن فيه قضايا علمية ولاسما القضايا الأدبية والنقدية واللغوية.
2) أثبت البحث بأن من أهم ملامح الأدب المقارن في البيان والتبيين أسلوب الجاحظ في نقل الآراء حين يقول: وقال محمد بن عمرو الرومي، وقال إبراهيم السندي، وقال ابن عطاء السندي، وسألت مباركا الزنجي، وقصة أريسيموس اليوناني، وجاء الطبيب الهندي، وقال أبو مسلم الخراساني، وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسي وغيرها من الأساليب التي نجدها في كتابات الجاحظ تدل على سعة علمه، عالمية ابتكاره في الآدب العالمية منذ ذلك الوقت.
3) وصل البحث إلى أن "البيان والتبيين" من الكتب التراثية التي تهتم بقضايا علم اللغة المقارن؛ فقد تحدّث بالتفصيل عن قضايا لغوية بصفة عامة، وقضايا صوتية بصفة خاصة.كما فرّق بين العجمة، واللكنة، واللثغة، وعدّها من أخطر العلل التي تسبب اللحن عند العرب والعجم بحيث أكد على أن العرب والعجم مصابون باللحن على السواء، ولايخص اللحن بالعجم فقط .
4) اهتم الكتاب بلغات الأقوام المختلفة، فقد تحدّث عن اللكن، واللحن عند نطق الحروف العربية عند الأقوام المختلفة، فتحدّث عن عيوب النبطي، والكوفي، والخراساني، والفارسي، والسندي أثناء كلامهم بالعربية.
5) قسّم البحث الأمم إلى ثلاثة أقسام، منها: أمم متخلفة لاثقافة لها ولا حضارة. ومنها: أمم متوسطة لها بعض شيء من الثقافة والآداب والأخلاق. ومنها: أمم مثقفة لها ثقافات وأخلاق وآداب، ويعني بها: العرب،وفارس، والهند، والروم/اليونان. والباقون من الأمم المتخلفة والمتوسطة كلها تبع للأمم المثقفة.

6) تنقسم مظاهر الأدب المقارن في البحث إلى ثلاثة أقسام: المقارنة بين الآداب العالمية.والمقارنة بين الآداب السامية. وملامح الموازنة بين قبائل العرب ونماذجها المختارة على مستوى الأدب العربي.

7) وصل البحث إلى أن الموازنات، والنقائض والمخاصمات العلمية والحوارات الأدبية والنقاشات النقدية في البيان والتبيين من أهم وسائل التي ساعدت على الأدب المقارن في التراث العربي القديم والحديث

8) – أثبت البحث على أن العرب القدامى كانوا من رواد الأدب المقارن في التراث العربي، ولذا نستطيع أن نقول إن الأدب المقان وعلم اللغة المقان لهما جذور ثابتة في التراث العربي القديم، والدليل على ذلك كتابات الجاحظ الأدبية والنقدية وعلى رأسها كتاب البيان والتبيينن والحيوان للجاحظ.

9) وصل البحث إلى أن أساليب المفاضلة والموازنة، مثل: أفضل، وأخطب، وأنسب، وأشعر، وأجود، وأعلم، وأنطق، وأعلم، وأوسع، وأدلّ، وأكثر، وأيسر، وأقضى، وأحكى الألفاظ، وأكهن العرب، وأعجب، وأحفظهم، وأسجعهم، وألثغهم كلها من طرق الموازنة التي يوازن بها الناقد بين الأجناس الأدبية في عصر الجاحظ، ويعتبر هذا البحث مثل هذه الأساليب من الأمظاهر الأدب المقارن في التراث العربي القديم.

الهوامش

[1] هو عمرو بن بحر محبوب، يكنى بأبي عثمان، وإنما قيل له "الجاحظ" لجحوذ عينيه. لقد عاش الجاحظ النصف الأخير من القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث، فثقف نفسه بعلوم الدين وفنون العربية ومعارف الدنيا وتتلمذ في مجال اللغة على أعلام العلماء أمثال أبو عبيدة معمر بن المثنَّى التميمي110-209هـ، وعبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بنالأصمعي121-216هـ، وأبو زيد بن أوس الأنصاري122-215هـ، ومحمد بن زياد بن الأعرابي150-231 هـ، و خلف الأحمر 180هـ، وأبو عمرو الشَّيباني 110-206 هـ، وأبو الحسن الأخفش 215هـ،وعلي بن محمد المدائني224 هـ. وفي مجال علم الكلام تتلمذ على يد إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام البصري 160-221هـ.كما نهل البلاغة والفصاحة من مناهلها السليمة من شفاه أهل المربد بالبصرة،كما أخذ منه جيل متميز أمثال المبرد وغيرهم[1]. وقد انتفع الجاحظ بكل لحظة من لحظات عمره الطويل بالقراءة والاطلاع، فما كان يرى إلّاومعه كتاب، وما وقع في يده كتاب إلّا استوفاه قراءة، بل إن الطريف الممتع في حياته أنه كان يستأجر دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر فيما يحتاجه من العلم. وكان عالما جليلا ومدرسة مستقلة في أسلوب التعليم والعقيدة تعرف بالمدرسة الجاحظية.[1] وقد قال عنه ثابت ابن قرة 288-221ه :[1] "ماأحسد هذه الأمة إلّاعلى ثلاثة أنفس:عمربن الخطاب في سياسته ويقظته وحذره، والحسن البصري

بزهده، وأبوعثمان الجاحظ خطيب المسلمين وشيخ المتكلمين، ومدره المتقدمين والمتأخرين إن تكلم حلى سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال، وإن جدّ خرج في مسك عامربن قيس، وإن هزل زاد على مزيد حبيب القلوب ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب ولسان العرب، كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلا رشاه آنفا، ولاتعرّض له منقوص إلّا قدّم له التواضع استبقاء. الخلفاء تعرفه والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة تسلم له، والعامة تحبه، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب،وبين النثر والنظم وبين الذكاء والفهم".[1] فكان الجاحظ درة ثمينة في جبين المعرفة العربية والإنسانية، عالماًفي كل فن، آخذا من كل علم بطرف، تثقف بثقافة واسعة هيأت له أسباب المجد في حياته، ومكنته من تأليفات مفيدة، منها: "البيان والتبيين".

[2] الأدب المقارن، الدكتور طه ندا، دار النهضة العربية للتباعة والنشر، سنة 1991، ص: 20-21. الأدب المقارن دراسات نظرية وتطبيقية، دكتور أحمد درويش، دار النصر للتوزيع والنشر، ط:2006/1، ص: 5-7

[3] هو المعروف بأعور الكلبي ، وهو شاعرمجيد . وكان بينه وبين الكميت بن زياد مفاخرات.

[4] البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط:4 سنة 1975م 1/385-383

[5] وقد ذكر هذه الأمم البائدة، والقرون السالفة. وأثبت لبعضهم بقايا قليلة ، وهم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون، مثل: جرهم، وجاسم، ووبار وعملاق، وأميم، وطسم وجديس، زلقمان والهرماس ، وبني الناصور، وفيل بن عتر، وذى جدن. وقد يقال في بني الناصور إن أصلهم من الروم.

[6] وهي أمة رومية نصرانية.

[7] إنهم قوم من العجم بالجزيرة أو نبط الشام.

[8] البيان والتبيين للجاحظ ، 1/ 293

[9] رذال الناس وأسقاطهم .

[10] إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر.

[11] وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشج بن يافث بن نوح .

[12] البيان والتبيين للجاحظ ، 1/ 137

[13] الحاقة /8 . وقد أنكر الجاحظ أن العرب من بقايا ثمود وعاد ويقول: وأنا أعجب من مسلم يصدِّق بالقرآن، يزعم أن قبائل العرب من بقايا ثمود. ص 188

[14] نفس المرجع

[15] البيان والتبيين ، ص62—79-81-92-133، ج1

[16] البيان والتبيين ، ص58-75، ج1

[17] البيان والتبيين ، ص47، ج1

[18] فقد تحدّث عن بلاغة الأسجاع من الكلام بقوله" نظر رجل من العباد إلى باب بعض الملوك، فقال: باب جديد، وموت عتيد، ونزع شديد، وسفر بعيد". البيان والتبيين، 1/ 286

[19] البيان والتبيين ، 54-87-116-127-152-156-162 ، ج1 و ص:80-81 – 174، ج2

[20] البيان والتبيين 1/ 88

[21] البيان والتبيين ، 1/ 113—115

[22] البيان والتبيين ، 116/1

[23] البيان والتبيين ، 176/1

[24] البيان والتبيين للجاحظ، 189/1-193

[25] البيان والتبيين للجاحظ، 383/1

[26] غافر:1-6

[27] مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي على الفضل الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعظمى المطبوعات بيروت، 5/ 387

[28] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 105

[29] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 106

[30] المعجم الوسيط -مجمع اللغة العربية بالقاهرة-صدر: 1379هـ/1960م

[31] مختار الصحاح-محمد بن أبي بكر الرازي-توفي: 666هـ/1268م

[32] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 7- 221

[33] أراد أن يقول: أي من أجل الذين أو من جري الدائنين الذين يتعلقون بمدينهم.

[34] وهي جمع لفظ "شريك" على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون؟

[35] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 161—162

[36] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 162

[37] البيان والتبيين للجاحظ، 19/1

[38] البيان والتبيين للجاحظ، 20/1

[39] تحدّث الجاحظ عن أنواع من اللباس التي كانت تأتي من الفارس ويستخدمونها أهل البصرة ويعتبرونها من أفضل اللباس منها:"بازيكند". ينظر: البيان والتبيين 1/ 95

[40] البيان والتبيين للجاحظ،19/1- 20

[41] البيان والتبيين للجاحظ، 146/1

[42] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 18-19

[43] هو سلمى بن عبد الله بن سلمى وكان من العلماء بأيام الناس ، توفي رحمه الله سنة 167.

[44] البيان والتبيين للجاحظ، 357-367/1

[45] هو موسى بن سيار الأسواري ،كان من أهل البصرة، وكان قدريا كم ذكره الأميرة ابن ماكولا، فهرس كتاب الإكمال ترتيب الإكمال مواد ورجال، مكتبة الرشيد رياض. المجلد 4/ ص 429

[46] البيان والتبيين للجاحظ، 368/1

[47] البيان والتبيين ص 41

[48] البيان والتبيين ص 41

[49] طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، محمود مهدي الاستنبولي ، المكتب الإسلامي ،ص 434

1. [50] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 81-407-408

[51] البيان والتبيين للجاحظ، 385/1

[52] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 126-127 - 133

[53] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 65

[54] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 38

[55] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 272

[56] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 41

[57] يعتبر "منكة" من كبار أطباء الهند ، كان مشغولا بمعالة الناس وصناعة الطب.

[58] وسماه ابن النديم "باكهر أو باجهر، و لعلّ سماه الجاحظ ب "بازيكر".

[59] ذهب بعض العلماء إلى أن أصل هذا الاسم هو "قل بن قل".

[60] يقول الجاحظ عن سندباد أو سندباز، وقلبرقل: أنهما جاءا بغدا على طلب من يحي البرمكي . "ينظر: البيان والتبيين:1/ 92"

[61] البيان والتبيين للجاحظ، 93/1

[62] نقل بزرجمهر بن البختكان حكيم فارسي تاريخ انتساخ كتاب كليلة ودمنة وترجمته من كتب الهند.

[63] البيان والتبيين للجاحظ، 52/1

[64] البيان والتبيين للجاحظ، 92/1

[65] البيان والتبيين للجاحظ، 285/1

[66] ولد أفلح بن يسار في السند، وتاريخ ميلاده غير معروف، ثُمَّ انتقل بصحبة والده إلى مدينة الكوفة، وفيها نشأ، ومن المؤكَّد أنه عاصر الدولتين الأمويَّة والعباسيَّة .لم يكن أباه يجيد العربية. ينظر: البيان والتبيين، 382/1

[67] لكن هذه المشكلة لانجدها عند السندي بصفة عامة في العصر الحديث.

[68] البيان والتبيين ص 40

[69] البيان والتبيين ص 41

[70]البيان والتبيين 1/ 58

[71] هوالفلاح

[72] البيان والتبيين 60/1

[73] البيان والتبيين للجاحظ، 37/1

[74] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 383

[75] شعبٌ ساميٌّ ، كانت له دولة في شماليّ شبه الجزيرة العربيَّة ، وعاصَمتهم سَلْع. وقال البعض هم قَوْمٌ كَانُوا يَسْكُنُونَ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالأُرْدُنِ ، كَانَتْ لِدَوْلَتِهِمْ حَضَارَةٌ ، عَاصِمَتُهَا الْبَتْرَاءُ

[76] البيان والتبيين للجاحظ، 1/74

[77] البيان والتبيين للجاحظ، 1/771-72

[78] الجرامقة هم من السريان نسبة لـ "باجرمى"، وهي منطقة كركوك الحالية! قال ابن خلدون: ان الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكها منهم سنحاريب. قال العلامة الشهير نيلدكي: ان الجرامقة هم من الأصل الارامي أو النبطي. ونقل ياقوت الحموي عن البيروني: "الاقليم هو الرستاق بلغة الجرامقة وهم سكان الجزيرة والشام" وثابت من معاجم اللغة الارامية أن الرستاق أو الرزداق معربة عن أصلها الآرامي "روستاقا" ومعناها السواد والقرى. زد على ذلك أن لغة الجرامقة كانت لغة السريان الشرقيين وهم المعروفون بالكلدان. كلمة الجرمقاني "مفرد الجرامقة" معربة عن أصلها الآرامي "جرمقايا" وقد أورد العلامة الانكليزي "باين سميث" في معجمه السرياني اللاتيني: "أن جرمقايا" هو الجرمقي أو الجرمقاني أي من كان أهله من "بيت كرماي".

[79] الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، الدكتور الطاهر أحمد مكي، دارالمعارف، ط:1/1978 ص 12-13 . في الأدب المقارن مباحث واجتهادات، د. إبراهيم عوض، المنار للطباعة والكمبيوتر، ط:2006م، ص 100-110

[80] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 17

[81] البيان والتبيين،1/18

[82] البيان والتبيين،1/ 300

[83] سباء :13

[84] الزمر:20

[85] سباء: 37

[86] الشعراء: 148

[87] البيان والتبيين،1/19

[88] هو الطرماح بن حكيم الطائي، وكنيته أبو نفر.

[89] هو الكميت بن زيد الأسدي ، وكنيته أبو المستهل.

[90] البيان والتبيين،1/46-47

[91] البيان والتبيين،1/-358

[92] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 394

[93] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 410

[94] غافر: 20

[95] البيان والتبيين للجاحظ، 1/294

[96] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 95

[97] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 358

[98] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 318-356

[99] https://dorar.net/firq/913/ 4-1-2020

[100] https://dorar.net/firq/913/ 4-1-2020

[101] قطري الفجاءة ، واسم الفجاءة جعونة بن مازن المازني. كان قطري زعيما من الخوارج، خرج زمن مصعب بن زبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن زبير. وكانت ولاية مصعب سنة: 66 فبقي قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة.

[102] البيان والتبيين للجاحظ، 1/342-347

[103] البيان والتبيين للجاحظ، 1/241

[104] البيان والتبيين للجاحظ، 1/352

[105] البيان والتبيين للجاحظ، 1/354

[106] البيان والتبيين للجاحظ، 1/354

[107] البيان والتبيين للجاحظ، 1/309

[108] وهي طائفة من المعتزلة تنسب إلى فضل بن عسى، ينظر تحقيق عبد السلام هارون على البيان والتبيين، ج:1، ص 306

[109] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 306

[110] البيان والتبيين للجاحظ، 1/40

[111] البيان والتبيين للجاحظ، 1/228

[112] البيان والتبيين للجاحظ، 1/240

[113] تحدّث الجاحظ عن أشعارنصيب والكميت والعجاج ورؤبة في الهجاء، ينظر: البيان والتبيين للجاحظ، 1/207

[114] كلامه عن شعراء النقائض: ساعد على الموازنات وكثرتها رواج النقائض بين الشعراء، وحدّها أن يتجه شاعر إلى شاعر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا أو متحديا، فيرد عليه الآخر كذلك، وللغاية نفسها. ملتزما ذات البحر والقافية والروي، ووحدة الموضوع مناط المناقضة ومادتها، سواء كان فخرا، أم هجاء، أم سياسة، أم رثاء، أم نسيبا، أم طبيعة، أم جملة من هذه الفنون. وقلما يخرج الشاعرعلى هذه القواعد، ولانعرف من هذا إلا نادرا. وقد تحدّث الجاحظ عن مناقشات الفرزدق والجرير ونقائضهما. ينظر: البيان والتبيين للجاحظ، 1/196. الأدب المقارن، الدكتور طه ندا، دار النهضة العربية للتباعة والنشر، سنة 1991، ص: 14-15. تاريخ الأدب المقارن المبادلات الأدبية بين الأمم ، دكتور رجاء عبد المنعم جبر، مكتبة الشباب، شارع اسماعيل سري بالمنيرة، ط.196م. ص 35-40

[115] البيان والتبيين للجاحظ، 1/206

[116] البيان والتبيين للجاحظ، 1/196

[117] البيان والتبيين للجاحظ، 1/ 209

[118] البيان والتبيين للجاحظ، 1/207

[119] البيان والتبيين للجاحظ، 1/40

[120] البيان والتبيين للجاحظ، 252/1

[121] البيان والتبيين للجاحظ، 12/1

[122] كلامه عن المذاهب النحوية:كما يقول: "زعم أصحابنا البصريون عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج، وكان لايبرّئهما من اللحن. وأضاف إلى ذلك لحن علماء مدرسة الكوفة، فتحدّث عن الكسائ الكوفي وخطاؤه في أسلوب "من خلَقك"بجزم القاف، فلم يدر ما قال، ولم يجبه، فردّ عليه السؤال فقال الغلام: لعلك تريد من خلقك". ينظر في البيان والتبيين: 1/ 163-164

[123] البيان والتبيين للجاحظ، 337/1

[124] البيان والتبيين للجاحظ، 271/1

[125] البيان والتبيين للجاحظ، 337/1

[126] البيان والتبيين للجاحظ، 91/1

المصادر والمراجع:

1. الأدب المقارن، الدكتور طه ندا، دار النهضة العربية للتباعة والنشر، سنة 1991
2. الأدب المقارن دراسات نظرية وتطبيقية، دكتور أحمد درويش، دار النصر للتوزيع والنشر، ط:2006/1م
3. الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، الدكتور الطاهر أحمد مكي، دارالمعارف، ط:1978/1
4. الأعلام من الأدباء والشعراء، ابن الرومي ،الدكتور عبد المجيد الحر، دارالكتب العلمية بيروت-لبنان.
5. الأميرة ابن ماكولا، فهرس كتاب الإكمال ترتيب الإكمال مواد ورجال، مكتبة الرشيد رياض.
6. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط:4 سنة 1975م
7. تاريخ الأدب المقارن المبادلات الأدبية بين الأمم ، دكتور رجاء عبد المنعم جبر، مكتبة الشباب، شارع اسماعيل سري بالمنيرة، ط.196م.
8. التراث المنقول ، العلامة شبلي النعماني الهندي 1914، نقله إلى العربية د. أورنك زيب الأعظمي، داالكتب العلمية، 1971م
9. ضحي الاسلام أحمد أمين، تحقيق وتعليق: محمد فتحي أبو بكر، وتقديم د. صلاح فضل، دار الكتب المصرية اللبنانية.
10. طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، محمود مهدي الاستنبولي ، المكتب الإسلامي.
11. مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي على الفضل الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعظمى المطبوعات بيروت.
12. مختار الصحاح-محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط:5، سنة 1999م
13. المعجم الوسيط -مجمع اللغة العربية بالقاهرة-صدر: 1379هـ/1960م
14. في الأدب المقارن مباحث واجتهادات، د. إبراهيم عوض، المنار للطباعة والكمبيوتر، ط:2006م

https://dorar.net/firq/913/ 4-1-2020